(١)

ولعل أول واهم حقيقة يمكن تقريرها عن اللغة هي عموميتها وانتشارها في كل المجتمعات الانسانية المعروفة في مختلف مراحل التاريخ والتطور. واذا كان الشك ينتاب بعض علماء الاجتماع والانثروبولوجيا حول وجود بعض الظواهر الاجتماعية الأخرى كالدين او الاسرة عند الشعوب البدائية البسيطة التي تحتل مكانة دنيا من السلم التطوري، بل ويشكرون بالفعل اسماء بعض القبائل التي لا تعرف (في اعتقاد هؤلاء العلماء وهو اعتقاد خاطئ) الدين أو الحياة العائلية فليس هناك دليل واحد على وجود جماعة انسانية واحدة –مهما بلغت من التأخير – لا تعرف اللغة في صورتها الكلامية على الأقل . فأكثر الشعوب تأخر او تخلفا وبدائية مثل جماعات البوشمن الذين يعيشون في جنوب افريقيا يستخدمون في حديثهم لغة على درجة من الرمزية التي لا تقل باي حال – على ما يقول ادوارد سابير –عن رمزية اللغة التي يستخدمها الرجل الفرنسي المثقف[١]. فاللغة بمعناه الدقيق ظاهرة ينفرد بها الإنسان عن بقية الكائنات العضوية الحية التي لا تملك وسيلة رمزية حقا للتعبير عن مشاعرها وأفكارها – ان صح استخدام هذه الكلمة الأخيرة، وكما يقول آرثر كيسلر في كتابه الطريف (العفريت فوق الالهة) : ان ظهور اللغة الرمزية – صورتها الكلامية اولا ثم في صورتها المكتوبة أو الكتابة – يمثل اهم عنصر من عناصر التمييز بين الحيوان والانسان ان وان كان ذلك لا ينفي وجود وسائل اخرى للاتصال عند بعض الحيوانات (الاجتماعية) عن طريق الأصوات والحركات التي يبدو أن لها مدلولا معينا عند افراد النوع الذي يستخدمها الا ان هذه الأصوات والحركات لا ترقى إلى مرتبة اللغة ؛ فهي في عمومها وسائل غير لغوية وعلى درجة عالية من البساطة والرتابة. فالنحل مثلا يتبادل الرسائل من طريق الرائحة والرقص في الخلايا ، كما ان بعض الحيوانات تبادل الرسائل من طريق أطلاق اصوات معينة بحيث يستخدم بعض الكتاب لذلك اسم : لغة النباح ، أو : لغة

---

[1] Sapir, E. Language, Harcourt brace, N.Y. 1921, pp. 21-3.

الصهيل ، وما اليها ، ويصل هذا النوع من التعبير بالأصوات ذروته عند بعض القردة العليا التي تستطيع أن تحذر بعضها بعضا من اقتراب الخطر او ترشيد بعضها بعضا الى مناطق توافر الطعام وما الى ذلك[٢].

[2] Koestler, A, the Ghost in the Machine, Hutchinson, London 1967, p. 17